التشظي الزمني في رواية (عطب الذاكرة) لسالم الغزولة

Time Dispersion in Salim Al-Ghazzoola's Novel "Amnesia"

د. بشار إحسان يحيى قاسم Bashar IhsanYahyaQasim

مدرس lecturer

مديرية تربية نينوى Nineveh Education Directorate

Bashar.eh131@student.uomosul.edu.iq

تاريخ الاستلام ٢٠٢٣/٨/٧ تاريخ القبول ٢٠٢٣/٩/١٠

الكلمات المفتاحية: التشظي، عطب الذاكرة، الرواية، سالم الغزولة، التوالد الحكائي

Keywords: Fragmentation, memory impairment, novel, Salem Al-Ghazoula, narrative generation

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن توظيف الكاتب سالم الغزولة لنسق البناء المتشظي في رواية (عطب الذاكرة)، لاسيما بعد أن عمد الكاتب في روايته إلى تبني سياسة الخلط الزمني مابين الماضي والحاضر والمستقبل عبر ذاكرة متشظية على أزمنة سابقة ولاحقة، هذه السياسة التي سعى فيها الكاتب إلى إنتاج شكل كتابي جديد يجسد عبره تجربة سردية فنية إنسانية أفرزتها الفترة المظلمة التي عصفت بمدينة الموصل الممتدة من حزيران ٢٠١٤ وحتى تحرير المدينة عبر تجربة سردية فريدة يصعب معها ضبط الزمن والسيطرة عليه نتيجة بعثرة المادة الحكائية.

وقد ارتكزت هذه الدراسة على محورين هما:

– المدخل: ويتضمن مفهوم التشظي الزمني، ونبذة مختصرة عن رواية (عطب الذاكرة).

– تشظي الزمن في رواية (عطب الذاكرة)، وتطرقت عبره إلى تقانتي (الذاكرة) و(التوالد الحكائي) اللتين اعتمدهما الكاتب في عرضه لأحداث فصول روايته.

Abstract

This study aims to explore how the author Salim Al-Ghazzoola employs the dispersed construction pattern in the novel "Amnesia", especially because he intentionally has adopted the time confusion policy amongst the past, present and future by a dispersed memory over previous and later times. In this policy, the author endeavors to produce a new written form through a humane artistic narrative experiment was caused by the dark period that hit the city of Mosul from June 2014 until liberating the city. The author employs a unique narrative experiment in which it is hard to adjust and control the time because of scattering the narrative material.This study is based upon two pivots:

1 .Introduction: It includes the concept of time dispersion, and a brief description on the novel " Amnesia".

2 .Time dispersion in the novel "Amnesia"whereby it is dealt with two methods; Memory and Narrative Reproduction which the author depends upon inpresenting The episodes of his novel's chapters .

المدخل

أ. مفهوم التشظي الزمني

عرفت الرواية التقليدية الزمن الطبيعي، إذ نجد التنقلات الزمنية تدور بين الماضي ثم الحاضر فالمستقبل، وهذا ما دأب عليه كتاب الرواية التقليدية، ويصطلح على هذه التنقلات الزمنية المتسلسلة بالزمن الكرونولوجي، وهو العلم الذي يعنى بترتيب الأحداث على وفق فضائها الزمني المتسلسل(١)، أي يعنى بتعيين التواريخ الدقيقة وشبه الدقيقة للأحداث، فهو مرادف لكل من الزمن العام والزمن الخارجي(٢)، فالزمن الطبيعي إذن هو زمن يمتد إلى الأمام ولا يعود الى الوراء ولا يمكن تحديده عن طريق الخبرة، إنما هو مفهوم عام وموضوعي، أو يمكن تحديده بواسطة التركيب الموضوعي للعلاقة الزمنية في الطبيعة(٣) .

أما بناء الزمن في الرواية الحديثة (الجديدة) فقد اختلف كثيرا عما كان عليه في الرواية التقليدية؛ إذ ((تم تدمير كرونولوجية الزمن، فانهار الانتظام الخطي للسرد الذي كان متولدا عن احترام الأزمنة، وأصبح عندنا تزامن عدة أزمنة، والانتقال من زمن إلى آخر بطريقة فيها الكثير من التشويش)) (٤)، وبذلك تحرر الحدث من قيود الزمن المتسلسل والمتتابع، وأصبح التعامل مع الزمن في الرواية الحديثة على أنه موضوع للرواية لا مجرد دليل نمو الحدث وتطور الشخصيات، وهذا ما انعكس على الأشكال الجديدة بين الزمنية واللازمنية(٥).

لقد كشفت الكتابة الروائية الحديثة عن تمرد واضح على النمط التقليدي من بعض الروائيين أمثال (جيمس جويس، ومارسيل بروست، وفرجينياوولف)،عندما خرجوا في رواياتهم على اسلوب تتابع الأحداث ووحدة الحبكة، واستعاضوا عنه بأسلوب آخر وهو تقديم الأحداث دون العناية بتتابعها في الزمان(٦)، ولما كان التجديد من صفات الأدب بصورة عامة،فقد طال التمرد جماليات الرواية الحديثة بعد أن ((لعبت العوامل الموضوعية والذاتية(التاريخية والسياسية والاجتماعية والطبيعية والإجناسية للنص الروائي المنفتحة والمعقدة في آن واحد)

---

(١) نقلا عن: تداعي وتشظي الزمن في رواية وقع الأحذية الخشنة لواسيني الأعرج، لينة قحة، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية، جامعة محمد خيضر– بسكرة، الجزائر، بإشراف د.آسيا جريوي،٢٠١٤–٢٠١٥: ٥١.

(٢) إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة/ نقد،أحمد حمد النعيمي:٢٢.

(٣).الزمن في الأدب، هانز ميرهوف، تر: أسعد رزوق، مراجعة: العوضي وكيل،١١.

(٤) الفضاء في الرواية العربية الجديدة (مخلوقات الأشواق الطائرة لأدوار الخراط أنموذجا)، حورية الظل: ٣٢٦ .

(٥) تشظي الزمن في الرواية الحديثة، أمينة رشيد: ٨.

(٦) المصدر نفسه: ٨ .

دورا كبيرا في تحويل النمط الكتابي من المرحلة الكلاسيكية والحديثة الى المرحلة الجديدة في تاريخ الرواية العربية المعاصرة، بما يعكس التحولات الكبرى للمجتمعات العربية، والإنسان العربي، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى نكسة حزيران وما تبعها من نكسات وهزائم وانكسارات على الأصعدة كافة)) [١].

إذن فالرواية الجديدة تعبير عن حدة الأزمات المصيرية التي تواجه الإنسان، فعندما تحس الذات المبدعة بغموض يعتري حركة الواقع، وتشعر أن الذات الإنسانية مهددة بالذوبان والتلاشي، وفي ظل تفتت القيم واهتزاز الثوابت وتمزق المبادئ والمقولات وتشتت الذات الجماعية وحيرة الذات الفردية وغموض الزمن الراهن والآتي وتشظي المنطق المألوف والمعتاد، كان لابد من فعل إبداعي يعيد النظر في كل شيء ويدعو الى قراءة مشكلات العصر قراءة جديدة ويؤسس لذائقة جديدة أو وعي جمالي جديد، بما يلبي طموحات الرواية الجديدة، عبر نمط كتابي ينهل من جماليات التشظي بدلا من جماليات الوحدة والتناغم[٢].

والتشظي أو ما يسمى التقطيع، بمعنى التشذر السردي، تقانة أدبية ورؤية للعالم، إذ إنها تمثل تمزق وحدة الرواية عبر رفضها للحبكة الروائية القائمة على خط مستقيم وصاعد[٣]. وفي البناء المتشظي للزمن تتم بعثرة المادة الحكائية زمانيا وإعادة تقديمها للقارئ من دون الاهتمام بالرابط السببي الذي هو الزمن، أي ((أنَّ مكونات المتن الروائي في هذا النمط من البناء تتناثر وتتشظى ولا تتضح مكوناتها إلا بعد إخضاعها لعملية ترتيب في ذهن المتلقي))[٤]؛ إذ لم تعد الرواية مجرد حكاية تروى بصورة متسلسلة في الزمان وإنما أصبحت مجموعة وقائع منثورة ومبعثرة أمام المتلقي، تفرض عليه مهمة إعادة ترتيبها وصياغتها على وفق قراءته لها،وهذا يعني أن يكون لدى المتلقي وعي متطور، فبدون هذا الوعي تفقد الرواية أهميتها[٥]؛لأن المتلقي في البناء المتشظي للسرد يفقد((القدرة على جمع خيوط النص اثناء القراءة، وربما يحتاج الى قراءة ثانية تجعله قادرا على استجماع هذه الخيوط ونسجها، وكأن

(١) البناء الفني لرواية الحرب في العراق، (دراسة لنظم السرد والبناء في الرواية العراقية المعاصرة)، عبدالله ابراهيم: ٣٨ .

(٢) أنماط الرواية العربية الجديدة، شكري عزيز الماضي: ١٥ .

(٣) تشظي الزمن في الرواية الحديثة:١٢٤ - ١٢٦ .

(٤) الفضاء الروائي عند جبرا ابراهيم جبرا، ابراهيم جنداري:٨٠ .

(٥) البناء الفني لرواية الحرب في العراق: ٣٩ .

القارئ يعيد تشكيل النص وصياغته من منطلق رؤيته ووجهة نظره،ويتحول الى أحد أصوات الرواة في النص)) [١].

ومن هنا يمكن القول إنَّ مهمة الراوية الجديدة لا تقتصر على عنصر التشويق وجذب القارئ الى عالم الفن فحسب، بل تجاوزت ذلك إلى دفع القارئ نحو التأمل وإثارة الأسئلة[٢]، وهذا ما يؤكد((أنَّ الرواية الجديدة ليست عملاهيّنا وليست أحداثا مبعثرة وقفزات عشوائية وانحرافات سردية غير دالة، بل يحتاج (تصميمها المبعثر) إلى فن وجهد وصر ومثابرة ورؤية ثاقبة لكل حدث مختار أو جملة مصوغة)) [٣]، وهذا ما يسعى إليه كتّاب الرواية الجديدة الذين يسعون الى توظيف تكنيك الزمن المتشظي الذي يعكس الحالة النفسية والشعورية للذات الراوية، وهذا دليل على أنَّ الزمن الذي يسيطر على الكتابات الروائية الجديدة هو زمن نفسي يتميز باللاانتظام والتشظي كونه يتشكل على وفق الحالة الشعورية والنفسية للراوي.

ب- عن رواية (عطب الذاكرة)

عطب الذاكرة، رواية عراقية تندرج في صفاتها وأسلوبها وطريقة كتابتها ضمن تيار الرواية الجديدة التي يسعى فيها الكاتب سالم الغزولة إلى إنتاج شكل كتابي جديد يجسد عبره تجربة سردية فنية وإنسانية أفرزتها الفترة المظلمة التي عصفت بمدينة الموصل، وهي رواية أقرب الى السيرة الذاتية؛ إذ جسد فيها الكاتب مراحل حياته عبر مجموعة من النسوة كنَّ قد مررنَّ بحياته؛إذ تمثل كل واحدة منهنَّ مرحلة زمنية من حياته بكل ما تحمله تلك المرحلة من محن ومصائب عصفت بوطنه العراق عامة ومدينته الموصل خاصة وآخرها الفترة المظلمة إبان احتلال عصابات القتل والظلام لمدينتة للفترة الممتدة من حزيران ٢٠١٤ وحتى تحرير المدينة ؛إذ تمثل (سارة) نقطة انطلاق زمن الحكاية التي يبدأ الكاتب عبرها بسرد مادته الحكائية عبر ذاكرة متشظية بإتجاه الماضي يصعب معها ضبط الزمن والسيطرة عليه نتيجة بعثرة المادة الحكائية .

تتوزع أحداث الرواية على خمسة فصول متبنيا فيها الكاتب خطابا ينتهج فيه سياسة الخلط الزمني مابين ماض يمتد لسنوات اختلف في مداه وسعته، وحاضر لا يتجاوز أياما معدودة، فالرواية بمجملها عبارة عن نص ارتدادي غير منضبط تجاه الماضي نتيجة اشتغال الكاتب على الذاكرة المنفتحة باستمرار على وطن المحنة/العراق حيث الماضي البعيد الذي

(١) الزمن في الرواية العربية، مها حسن القصراوي: ١١١.

(٢) أنماط الرواية العربية الجديدة: ١٠٣.

(٣) المصدر نفسه: ١٠٥.

يتخلله شيء من العودة الى الزمن الحاضر، وهذا ما جعل رواية (عطب الذاكرة) رواية ذاكرة بإمتياز.

تشظي الزمن في رواية (عطب الذاكرة)

لو أجرينا نظرة فاحصة لنص رواية (عطب الذاكرة) من أجل الوقوف على توظيف الكاتب لنسق البناء المتشظي للزمن، لوجدنا أن نص الرواية اتخذ من هذا الزمن نقطة ارتكاز لانطلاق الأحداث والانفتاح عبر ذاكرة متشظية على أزمنة سابقة ولاحقة؛ إذ يلغي الكاتب (سالم الغزولة)على المستوى الكلي للرواية . ما يسمى بالزمن (الكرونولوجي)، أي الزمن في تسلسله الطبيعي ليحل محله زمن يفتقر الى النمو العضوي الداخلي في محاولة من الكاتب لرصد حال التشظي الروحي والنفسي الذي يعاني منه الفرد العراقي متجسدا بشخصية (الراوي) الشخصية المحورية التي تتكلم بلسان الكاتب، إذ يسرد علاقاته بنسوة تمثل كل منها مرحلة من حياته ومن ثم هي مرحلة من مراحل المحنة التي مر بها وطنه العراق لاسيما مدينة الموصل التي تدفع بذاكرته نحو ماض حمل معه مآس وويلات ((**كم هي مشؤومة هذه المدينة، لم تترك شيئا جميلا إلا اغتالته، مدينة تطوقها اللعنات من كل الجهات،مدينة لم تعرف الحياة ليست بمدينة، مدينة لم تطلق العنان للعشاق فيها ليست بمدينة، مدينة تنام مبكرا وتستيقظ مبكرا ليست بمدينة .. سارة أنت مدينتي الوحيدة..أين أنت يا كل مدني الضائعة..؟(.....) سارة أنت صبح..وصبح .. وصبح أشرقي في روحي صبحا يغسل أوجاع يسوع .. صبحا يرحل بي عصفورا وراء الشمس، صبحا يسرقني مني ويهديني إليك .. تائه كل صبح أرسم فيه ملامح خطاي فوق دروب الضياع وحدي .. أورورا نجمة الصبح البعيد (.....) أورورا صبحي الغائب عني منذ سنين**)) [١].

وبذلك تتشكل صيرورة حكائية ذات بنية زمنية يتقاطع فيها التاريخي والآني، وتتشابك الانساق، وهذا ما أدى الى تحول الرواية من نص سردي متنامي الحدث بصورة تتابعية إلى نص سردي متشابك ومتشظ[٢].

فالرواية إذن نقطة تحول في مسار الكتابة الروائية العراقية، إذ شكلت مغامرة أدبية فنية تفككت فيها معايير الكتابة الروائية الواقعية والمألوفة، عبر منظومة زمنية معقدة يصعب مها تحديد حوادث القصة المفترضة نتيجة الخلط الزمني الشديد بين حاضر حكائي قليل وماض يمتد لسنوات طويلة.

تتوزع أحداث رواية (عطب الذاكرة) على خمسة فصول قصيرة، لكل فصل عنوان مستقل، وكما يأتي حسب تسلسلها في الرواية ((رماد الفراشة، وهج السنوات الضائعة، وخز الاحزان، عالم على بوابات الوهم، وجع الشتات)) [٣].

---

(١) عطب الذاكرة، سالم الغزولة: ٤٣-٤٤.

(٢) الزمن في الرواية العربية: ١١٦ .

(٣) عطب الذاكرة: ١٣-٢٠-٣٩-٥٢-٦٥.

وكما نلحظ أنَّ عناوين فصول الرواية هذه توحي بالتشظي والتفكك، إذ يظهر للوهلة الاولى أنَّ هذه العناوين لاترابط بينها، وأنَّ كل فصل قائم بذاته منفرد بأحداثه عن بقية الفصول الأخرى، ولكن في حقيقة الأمر نجد أنَّ هذه العناوين بمجموعها تشكل شبكة من العلاقات حولها الكاتب بذكاء الى رموز تعزز صور التشظي النفسي والروحي الذي يعانيه نتيجة المحنة التي تمر بها مدينته الموصل، فضلا عن بحثه عن المثال الذي لا وجود له على أرض الواقع.

أما على مستوى فصول الرواية فإنَّ رواية (عطب الذاكرة) تطرح صعوبة كبيرة في ترتيب فصولها حسب الأسبقية الزمنية للحوادث المفترضة؛ لأنها ليست فصولا بالمعنى المألوف،أي الفصل الواحد ليست له بداية ووسط ونهاية[١]، ويعاني من تشظ وتفكك زمني،نتيجة اشتغال الكاتب في عرضه لأحداث فصول روايته على تقانتي (الذاكرة والتوالد الحكائي) ؛ إذنشهد لهما الهيمنة الكاملة على بنية السرد الروائي.

وبذلك تكون رواية(عطب الذاكرة) منظمة في قطع غير معدودة، ولكن المجموع يمكن أن يوحّد في عملية دلالية تعمل على تشكيل المعاني[٢].

تمارس الذاكرة دورا رئيسا في تشظي الزمن في رواية (عطب الذاكرة) عبر سياسة الخلط الزمني الذي انتهجته في عموم الرواية مابين الأحداث والوقائع المستعادة من الماضي من جهة، ووقائع الحاضر من جهة اخرى، ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد فقد كشفت هذه الذاكرة عن ((أزمة الهوية العربية المعاصرة والوعي المحتقن بهذه الهوية الممزقة المشطورة بين الماضي والحاضر)) [٣].

لقد رسمت لنا ذاكرة (الراوي) لوحة سردية ذات بنية زمنية تعتمد الانتقالات الزمنية المفاجئة مابين الماضي والحاضر والمستقبل، وتقديم اللوحة التأملية، والمزج بين الواقعي والمتخيل، والصورة الوصفية والسردية، مع مشاهد حوارية مكثفة تكشف دواخل الشخصيات الموجودة في ذاكرة (الراوي) **((ياسارة لاتطيري عاليا كي لا تقعي، ياترى هل يأتي يوم يمكن أن يجمعني بك؟ لا..لا..هي أوهام امرأة مازالت تعيش مراهقتها(.....).**

من أين تأتي بهذه الكلمات العذبة ؟ كلماتك تسحرني ولست أملك عصا موسى لأبطله فيظلّ سحرها يلازمني، ماهذا الصوت الرخيم مثل جدول ماء منساب من أعلى القمم

(١) ينظر: أنماط الرواية العربية الجديدة: ١٨٩- ١٩٠.

(٢) الرواية في القرن العشرين ،جان-ايف تاديه، تر: محمد خير البقاعي:٨٧ .

(٣) في الرواية العربية الجديدة، فخري صالح: ١٧٧.

؟ صوتك حين تلقي الأشعار على مسامعنا يسكرني،خمرة صنعها هاروت ببابل، صوتك يا حبيبي يأخذني فوق الغيوم يسبح بي حلما ورديا يملأ الآفاق(١).

كما نلحظ أنَّ الراوي يعتمد في هذا المشهد الحواري على مزج الصورة الوصفية بالسردية في لوحة تأملية متداخلة مابين الواقعي والمتخيل، كل ذلك يصب في ((بوتقة نصية واحدة تتقصد جماليات التشظي البنائي للمقطوعات السردية، لتكشف عن التشظي الروحي للشخصية المتخيلة التي تجاوزت حدود الواقع عبر مرآة الذاكرة المتشظية والمركبة على تجارب حياتية تتقاطع في فضائها الشخصيات الثلاث (الؤلف /الراوي /الشخصية)،وكذلك على تقنيات كتابية تتوسل الذاكرة وفعاليتها كتابة وأسلوب حياة)) (٢).

ففي الفصل الثالث من الرواية والمعنون (وخز الأحزان) يستهل الراوي أحداث الخطاب السردي بكلام في حاضر السرد ((**هدوء موحش يغتال زوايا البيت، لا حياة في أي جزء منه، فقط طنين أذني يملأ مسمعي، الحزن خيم على كل شيء في البيت وحدي هناك، وبقايا ذاكرة مهترئة**)) (٣).

وبعد هذا المقطع تنفتح ذاكرة الراوي على الماضي القريب ليطلعنا على محبوبته (سارة) عندما كان يتصل بها هاتفيا ((**كنت أستل هاتفي وأتصل بك وأسمعك كلَّ ألوان الغزل، وحولي ثلاث زهرات تتقافز على كتفي ويديّ وأحضاني، وأنا غارق فيك (.....) نور طفلتي الصغيرة تناديني بابا اسمح لي أن أتكلم مع ماما سارة،تصفك بـ(ماما)، وكنت لها أعظم أم، كنت الحبيبة والأم والأخت والصديقة**)) (٤) .

نلحظ في هذا المقطع السردي أنَّ ذاكرة (الراوي) انفتحت على ماض قصير المدى وغير محدد عبر استعماله للأفعال الماضية (كنتُ، كنتِ...) التي توحي بقرب هكذا استذكار، بعد ذلك مباشرة ينتقل الراوي للكلام عن ماض بعيد نوعا ما عبر حادثة وفاة والده هذه الحادثة التي مرت عليها سنوات طويلة ((**وأبي الحنون الكتوم الذي كبت في نفسه كل هموم الدنيا، حتى انفجرت قرحة معدته فمات بعد أن أكل المرض الخبيث ثلث أحشائه**)) (٥)، بعد ذلك يعود الراوي للكلام عن وفاة والدته التي سبقت والده بوفاتها وبكاء والده عليها عند موتها وبهذا

---

(١) عطب الذاكرة: ٢٢-٢٣.

(٢) حساسية النص القصصي (قراءة في مجموعة ((حياة سابقة)) لعلي القاسمي)، فيصل غازي النعيمي: ٢٢.

(٣) عطب الذاكرة: ٣٩.

(٤) المصدر نفسه: ٣٩.

(٥) المصدر نفسه: ٣٩ -٤٠.

يندفع الراوي نحو ماض أبعد من ماضي المقطع السابق بقوله ((**ذاك أبي الذي بكى على أمي بكاء الثكلى حين سبقته بالرحيل عن هذه الدنيا، أمي التي غادرتني على حين غفلة**)) [١].

وبعد بضعة أسطر يعود بنا الراوي من الماضي الى حاضر القص ((**هدى تتصل بي،وأنا مازلت أخوض غمار الصراع مع نفسي في سيارة الأجرة التي انتظرت ساعة كاملة فقط لعبور سيطرة واحدة، فتحت الهاتف، نعم هدى تفضلي مابك ؟ لماذا تخاطبني بهذا البرود الذي لم أعهده فيك ؟هدى مازلت في سيارة الأجرة ولم أصل الى البيت بعد،أقطعي الاتصال وحالما أصل سأتصل بك اتفقنا،حسنا ولكن لا تتأخر علي فإنني مشتاقة وعندي لوعة..أحبك ،وأنا كذلك...**)) [٢] .

ففي المقطع السردي هذا ينقلنا الراوي الى حاضر السرد عبر حوار دار بينه وبين صديقته هدى، ثم ينقلنا الراوي بعد ذلك الى زمن المستقبل عبر مؤشرات استباقية توحي لنا بعذا الانتقال الزمني نحو مستقبل قريب المدى باستخدامه حرف الستقبال (السين) (وحالما أصل سأتصل بكِ.....).

فالمتأمل جيدا للمقاطع السردية الآنفة الذكر يجد زمنا متشظيا بسبب عدم تسلسل الأحداث، وكذلك التنقلات الزمنية الواضحة مابين الماضي والحاضر والمستقبل،هذا الحال على مستوى مجموعة من اللقطات السردية، فكيف الحال مع بقية الفصل ؟لا بل كيف الحال مع نص الرواية ككل ؟.

يواصل السرد مسيرته في زمن الرواية الحاضر،إذ يخبرنا الراوي بأن السرد يجري في الزمن الحاضر عبرمؤشرات توحي بذلك ((**الآن ترجلت من سيارة الأجرة يا هدى لقد سحبتْ مني اطفالي،أنا أكاد أختنق يا هدى لا أقوى على العيش من دون أطفالي إنهم كل ماتبقى لي في هذه الحياة ...**)) [٣].

يستمر الحاضر السردي بالتدفق على سطح السرد الذي تتخلله بعض الإرهاصات الاستباقية عندما أحال الراوي الفعل السردي الى صديقته (هدى) لتقوم بدورها بطرح رؤية مستقبلية على شكل تخمينات الغرض منها مجرد تحقيق الاستباق الزمني المسبب لتشظي زمن الرواية الكلي، تقول هدى:((**حبيبي لاتحزن إنَّ الله كفيل بأن يعيدهم إليك لاتأبه بها وتعال إلي سأكون أمك وحبيبتك وزوجتك وسأكون أختا لنور ،وأماً لأطفالك وأطفالنا الذين سننجبهم، أريد منك دزينة أطفال،آه لو تعلم كم أحبك ! آه لوتعلم مايحصل بي في الليل وأنا**

(١) عطب الذاكرة: ٤٠.

(٢) المصدر نفسه: ٤١ - ٤٢.

(٣) المصدر نفسه: ٤٥.

أبلل وسادتي بدموعي المنسكبة عليك.. لماذاتبكين يا هدى ؟أنا أحبك مثل أعمى يستهدي نورا،أحبك مثل وردة عطشى غسل حزنها زذاذ المطر..أحبك هدى..مادمتَ كذلك يا حبيبي تعال لنتزوج ونعيش حياتنا بسعادة..)) (١).

من الملاحظ على هذا المقطع السردي الاستباقي أنه جاء بصيغة المضارع المسبوق بحرف الاستقبال (السين) (سأكون، سننجبهم) الدال على البعدية الذي أدى بالنتيجة الى تشظي زمن الرواية، فضلا عن ذلك فإنَّ إحالة الفعل السردي الى شخصية أخرى وهي شخصية (هدى) من مسببات التشظي الزمني لنص الرواية الذي عكس التشظي النفسي والروحي الذي تعاني منه شخصيات الرواية التي تعد المعادل الموضوعي لشخصية المؤلف.

تستعيد ذاكرة (الراوي) بعد ذلك زمام الأموروليعود بنا الى الماضي مجددا حيث محبوبته (سارة) **((سارة (.....)، أنا لم أتركها،بل حررتها من بؤسي وحزني الأبدي،شعرت أنها لن تجد السعادة معي، فحياتي معجونة بطينة الحزن،لم أرد أن تتعذب معي وهي فراشة ملونة لو أمسكتُ أجنحتها فقدتْ رونقها، سارة حبيبتي لم ألوثها بأوجاعي المحرقة..سارة هي سارة..))** (٢).

وبعد هذا المقطع السردي ذي اللغة الشعرية العالية ينقلنا الراوي نقلة مفاجئة من ماضي الحكاية الى حاضرها عبر كلام ينبئنا ببداية سقوط مدينة الموصل بيد أصحاب الرايات السود (عصابات داعش الارهابية)..**((الساعة الثانية عشر والنصف ظهرا،جاء أمر سريع باخلاء الجامعة بكل كلياتها وأقسامها، مشهد عظيم كأنه يوم الحشر الطلبة يتسابقون نحو أبواب الجامعة الستة ماذا هناك ؟ يقال إنه تم فرض التجوال في المدينة، لماذا ؟قيل إنَّ الجانب الأيمن قد سقط، بيد مَنْ؟ سقط بيد جماعة يحملون الرايات السود، لماذا هذه المدينة مثل بركان لا يعرف الركود؟ لماذا لا تهدأ؟ يا رب استرنا..))** (٣).

وبعد حادثة إخلاء الجامعة وبداية احتلال داعش لمدينة الموصل نصل والراوي الى نهاية أحداث هذا الفصل من الرواية وهو الفصل الثالث لتبدأ بذلك مرحلة احتلال داعش للمدينة وتبدأ معها مرحلة مأساوية في تاريخ مدينة الموصل التي يبثها المؤلف في الفصول اللاحقة للرواية.

إنَّ المتتبع لمجريات أحداث الفصل أحداث هذا الفصل يكتشف بنية زمنية متشظية ومعقدة فالقارئ لايمكنه متابعة قراءة النص من دون الإحساس بمتاهة الأحداث، لأنها أحداث تفتقد الى نمو زمني متتابع ومتسلسل، إذ الانتقالات غير المنضبطة بين الأزمنة واستخدام

(١) عطب الذاكرة : ٤٥ –٤٦.

(٢) المصدر نفسه: ٤٧ .

(٣) المصدر نفسه: ٤٨–٤٩.

المفارقات الزمنية، فضلا عن تركيز الكاتب ((على حركة الذهن ومخزون اللاشعور وانعكاسات الأشياء والظواهر على اللوحة النفسية الداخلية)) (١).

لقد وقع اختيارنا على هذا الفصل لمقاربة بنيته الزمنية وتوضيحه عبر النسق المتشظي، لأنه يمثل فاتحة نصية تتأسس عليه أحداث الرواية الأخرى،من جهة أخرى أردنا أن نوضح في هذا الفصل كيف أسهمت الذاكرة في تشظي الزمن على مستوى فصل واحد فكيف ببقية الفصول؟.

الى جانب (الذاكرة) تقف تقانة التوالد الحكائي أو ((التناسل اللاعضوي)) (٢)، للحكاية لتسهم بدورها في تشظي السرد داخل فصول الرواية،فضلا عن تدميرها لمنطق البنية الزمنية للرواية، عبر تشابك الأنساق الزمنية وتداخلها، كل ذلك عمد إليه الكاتب ابقاء على استمرارية إغواء الحكاية للقارئ، وتمثلا لبنية الحكي في حكايات (ألف ليلة وليلة) (٣)، وها نحن نعيش أجواء (ألف ليلة وليلة) في رواية (عطب الذاكرة) عبر تقانة التوالد الحكائي.

والتوالد الحكائي: هو حكاية رئيسة يتولد عنها ((قصص ثانوية، ليس بشكل الاستطراد الشائع في روايات وحدة الحبكة، لكن بوصفها قصص مستقلة، أو تبدو كذلك)) (٤)، كما في حكاية (سارة) محبوبة الراوي التي عدها المؤلف الخيط الخفي الذي يجمع عددا من القصص المستقلة لشخصيات مختلفة، فقصة سارة حملت معها قصصاً لشخصيات (سعاد، وضحى، وهدى، ونرجس، وأنيسة) وهذا ما يوضحه المقطع السردي الآتي:

((لم تخفِ عليَّ شيئا من حياتك الماضية، قلت لي كل شيء ..أخبرتني عن حبيباتك اللواتي سبقنني إليك أخبرتني عن سعاد وبتول، وضحى، وهدى، ونرجس، وأنيسة، ولم تحك لي عن أيٍّ منهنّ إلا واحدة قلت لي إنك أحببتها حبا كبيرا)) (٥) .

إن هذا المقتبس السردي(الاستذكاري) كان بمثابة النص (الأم) الذي أنجب مجموعة حكايات تشابكت بها الأنساق الزمنية، وتشظت فيها الأحداث، فبعد أن شرع الراوي باستذكار قصة حبيبته (سارة) بعد فقدانها التي هي في الحقيقة فقدان الوطن والانتماء وتمزق الروابط التي

---

(١) أنماط الرواية العربية الجديدة: ١٠٨.

(٢) المصدر نفسه: ١٨٧ .

(٣) ينظر: جدلية الوطن/المنفى وذاكرة الرهانات الخاسرة في رواية (شرفات بحر الشمال) لواسيني الأعرج، بوشوشة بن جمعة، مجلة العلوم الانسانية، جامعة محمد خيضر- بسكرة (الجزائر)، ٢٠٠٤ : ٩٨.

(٤) تشظي الزمن في الرواية الحديثة:١٢٦ .

(٥) عطب الذاكرة: ٢٥.

تشكل عناصر كينونته، هذا الاستذكار شكل متاهات من الحكايات المتوالدة، ففي الفصل الثاني من الرواية (وهج السنوات الضائعة) تتناسل من حكاية (سارة) وهي برفقة الراوي في المكتبة حكاية أخرى لحبيبة أخرى وهي (نرجس) يقول السارد والراوي المركزي :((**لم نطل البقاء في المكتبة فقد كنتِ خائفة جدا ..رغم أني لم أر في المكتبة سوانا، وحولنا الكثير من الطلبة ولكني لم أشعر إلا بكِ أنت (.....) يا سارة فحبك أنتِ فوق كل أنواع الحب،فأنت لست من الأرض، انتِ من السماء..نرجس(.....) ودعتها الوداع الأخير في يوم صيف لاهب ولكن لم تكن حرارته أشد من حرارة الوجد في قلبي (.....)، نرجس لم يزوجها أبوها إلا لرجل من بلدته سيرا على التقاليد الشائعة عندهم آنذاك (.....) نرجس رحلت نرجس انتحرت (.....) هي الآن أم لولدين وهي تدرِّس في احدي الجامعات، رحلت عني وما زالت تحتل أجزاء من قلبي وستظل..**)) [١].

واستنادا الى تعريف تودوروف للقصة المضمنة أو التضمين بأنه ((إدخال قصة في قصة اخرى)) [٢]، بمعنى أنه يمكن للقصة الأصل أن تستوعب قصصا فرعية تحكى ضمنها كما في ألف ليلة وليلة[٣]، لذا فإن القصة السابقة لنرجس واحدة من القصص المضمنة العديدة التي حفلت بها رواية (عطب الذاكرة) التي نشأت في إطار القصة الرئيسة المتمثلة بقصة البطل الراوي مع (سارة)، ففي هذه القصة يقدم لنا الراوي أحداثا عبر نسق استرجاعي متشظ إذ يعود بنا الى الماضي ليطلعنا على حالة عشقية عمقت جروح ذاكرة الراوي السارد، وزادت من أوجاعها، وكشفت عن التشابه الكبير في التجارب الانسانية.

يواصل الراوي استذكار حكاية حبيبته (سارة) لتتوالد على اثرها المزيد من القصص والحكايات التي تسهم بدورها في توسيع دائرة التشظي والتفكك في الرواية، فحكاية سارة استدعت سرد عدد من الحكايات المضمنة منها حكاية بنت الآغا (فيان) ؛ إذ يصل التشظي الزمني الى أوجه، وذلك عندما غاصت الذاكرة في عمق الماضي البعيد أي إلى ما يقارب الأربعين سنة يقول الراوي : ((**ابنة الآغا عمرها ثماني عشر سنة، وهي فاتنة المدينة، ليس في المدينة فتاة بجمالها، لها سحر يسلب العقول، ويذيب القلوب .. دخلت الى بيت الآغا، حيث الباب مشرع دائما وصلت الى الغرفة التي تجلس فيها ابنة الآغا، مددت نظري من دون أن اطرق الباب،فيان مستلقية على بطنها (.....) كنت حينها في العاشرة،فيان انتفضت من مضجعها مثل ضبية ذعرت من وحش مفترس، ألقيت التحية**

(١) عطب الذاكرة: ٢٦ –٢٧.

(٢) مقولات السرد الأدبي، تودوروف، تر: الحسين سحبان وفؤاد صفا، مجلة آفاق، المغرب، ع.(٨–٩)، ١٩٨٨ : ٤٣ .

(٣) تحليل الخطاب الروائي (الزمن– السرد– التبئير)، سعيد يقطين: ٧٣–٧٤.

تمنيت لحظتها لو أنَّ الزمان توقف، والحركة شلت إلا مني ومنها (.....) طلبت مني فيان أن اشتري لها من الدكان القريب من دارنا مثلجات كانت معها أختها المكتنزة ذات الملامح الخشنة وكأنها ليست أختها من شدة الفرق بينهما.....)) [١].

إنها قصة جديدة تضاف الى قصص الرواية المتوالدة التي خط بها الكاتب علاقاته النسوية وعشقه لهنَّ، إذ تمثل كل علاقة مرحلة زمنية من مراحل حياة الكاتب التي تمثل بالنتيجة المراحل التي مر بها وطنه العراق عامة، ومدينة الموصل خاصة، ولأن الكاتب اتخذ من محنة مدينة الموصل موضوعا لروايته فقد جاءت شخصياته مأزومة كون طبيعة التجربة عند الكاتب وما عاناه في وطنه جعلاه يسقط ما بداخله على شخصياته الروائية فجاءت بهذه الصورة.

يبقى أن نشير الى أنَّ الحكايات المتولدة لم تكن من أحداث الماضي المستعادة فحسب، بل امتد التشظي الزمني والنفسي الى حاضر الرواية، وهذا ما جعل التشظي الزمني يصل إلى أوجه في الرواية، ففي حاضر الزمن الروائي يطلعنا الراوي على قصة مضمنة لشخصية جديدة ظهرت على سطح الحاضر السردي، فبينما كانت الشخصية الراوية تتجول في شارع الصناعة بمدينة الموصل للبحث عن قطعة غيار للسيارة المعطلة قصفت طائرة أمريكية بلدية الصناعة وفي أثناء ذلك دخلت في سرد هذا الحدث قصة أبي زكريا المضمنة يقول فيها البطل الراوي : **((يا ترى ماذا كان يدور في خلد أبي زكريا؟ هذا الانسان الطيب الذي كان يمتلك كراجا كبيرا يصلح فيها السيارات بمختلف أنواعها، دارت به رحى الأيام وأسلمته لكف الفقر والبؤس،حتى صار يشتغل في محل صديقه لبيع العدد اليدوية وبعض الأدوات الاحتياطية للسيارات مع صديقي حسَّان رفيق عمري ودربي الطويل ..أبو زكريا هذا الأكثر من رائع لديه قابلية على الكلام المتواصل النهار مع الليل من دون أن يكل أو يمل، يمتلك من الطيبة ما لا يمكن أن تصدقه عينا انسان ...))** [٢].

إنَّ توقف المؤلف في الزمن الحاضر لسرد قصص مضمنة فضلا عن الزمن الماضي أدى الى تداخل زمني بين الماضي والحاضر انعكس ذلك على تشظي الزمن الكلي للرواية وهدم نسقيته المتسلسلة وبعثرته على شكل قصص منفصلة قائمة بذاتها يوحدها في الوقت نفسه الإطار المأساوي الذي جمع كل تلك القصص والذي كان الراوي يرى من خلالها مأساته الحقيقية التي هي مأساة وطن بأكمله .

---

(١) عطب الذاكرة: ١٦ – ١٧.

(٢) المصدر نفسه: ٨١.

لقد مارست (الذاكرة) ومعها التوالد الحكائي دوراً فاعلا في تشظية الزمن السردي لرواية (عطب الذاكرة)، فمن خلالها أعطى الكاتب للراوي حرية السرد والحكي من دون منطق زمني يحكمه أو يقيده، وبذلك انفرطت الحبكة، وتشظى السرد، وتداخلت الأزمنة بشكل معقد بين الماضي والحاضر والمستقبل من جهة وبين الواقعي والمتخيل من جهة ثانية، فضلا عن تشابك الأنساق الزمنية، كل ذلك تعمدهُ الكاتب لإضفاء جماليات التشظي الزمني على الرواية.

الخاتمة

إن المتتبع لمجريات أحداث رواية (عطب الذاكرة) لسالم الغزولة يجد أن هذه الرواية تندرج ضمن ما يسمى الرواية الجديدة التي اعتمدت مبدأ بعثرة المادة الحكائية وفسح المجال للقارئ لإعادة لملمة خيوط أحداثها، فقد اعتمد الكاتب في الرواية عينة البحث على عنصر التشظي الزمني في طرح مادته الحكائية، كل ذلك جرى تمثيله سردياً عبر ذاكرة متكئة على التوالد الحكائي الذي أسهم في تشظية الزمن السردي لرواية (عطب الذاكرة)، مما يجعل القارئ يدخل في متاهة الأحداث عند قراءة نص الرواية بسبب الانتقالات المتشظية غير المنضبطة زمنيا بين الأحداث، وهذا النوع من البناء الزمني أضفى عنصر التشويق لدى القارئ لمتابعة مجريات أحداث الرواية ورسم خارطة ذهنية على الأقل لمجمل أحداث الرواية، ومن ثم فقد أسهم الكاتب في إثراء النص على المستويات كافة ،الزمني والدلالي والبنائي، فضلا عن مواكبته لظاهرة التجديد في الرواية العراقية.

ثبت المصادر

أولا: الكتب

- أنماط الرواية العربية الجديدة، شكري عزيز الماضي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠٠٨.
- إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، أحمد حمد النعيمي المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٤.
- البناء الفني لرواية الحرب في العراق (دراسة لنظم السرد والبناء في الرواية العراقية المعاصرة)، عبد الله إبراهيم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٨٨.
- تحليل الخطاب الروائي (الزمن- السرد- التبئير)، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٩.
- تشظي الزمن في الرواية الحديثة، أمينة رشيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨.
- حساسية النص القصصي (قراءة في مجموعة ((حياة سابقة)) لعلي القاسمي)، فيصل غازي النعيمي، دار الأمان- الرباط، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠١٢.
- الرواية في القرن العشرين، جان- إيف تاديه، ترجمة : محمد خير البقاعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦.
- الزمن في الأدب، هانز ميرهوف، ترجمة : أسعد رزوق، مراجعة : العوضي وكيل، مطابع مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ١٩٧٢.
- الزمن في الرواية العربية، مها حسن القصراوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، دار الفارابي للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ٢٠٠٤.
- عطب الذاكرة، سالم الغزولة، دار نون للطباعة والنشر، العراق، ط٢، ٢٠١٨.
- الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا، إبراهيم جنداري، دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية)، بغداد، ط١، ٢٠٠١.
- الفضاء في الرواية العربية الجديدة (مخلوقات الأشواق الطائرة لإدوار الخراط نموذجاً)، حورية الظل، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق-سوريا، ٢٠١١.
- في الرواية العربية الجديدة، فخري صالح، منشورات الاختلاف-الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون- بيروت - لبنان، ط١، ٢٠٠٩.

ثانيا: الدوريات

- جدلية الوطن/المنفى وذاكرة الرهانات الخاسرة في رواية (شرفات بحر الشمال)، بوشوشة بن جمعة، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر –بسكرة (الجزائر)، ٢٠٠٤.
- مقولات السرد الأدبي، تودوروف، ترجمة: الحسين سحبان وفؤاد صفا، مجلة آفاق المغرب، الرباط، ع (٨–٩)، ١٩٨٨.

ثالثا : الرسائل والأطاريح

- تداعي وتشظي الزمن في رواية وقع الأحذية الخشنة لواسيني الأعرج، لينة قحة، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية، جامعة محمد خيضر – بسكرة، الجزائر، ٢٠١٤–٢٠١٥ .